بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته أجمعين محمّد وآله الطاهرين لا سيّما بقيّة الله في الأرضين عجّل الله تعالى فرجه.

ذكرت في اليوم الماضي جانباً من جوانب أهميّة مباحث الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وضرورة كون هذه المباحث من الدروس الأساسية في الحوزات العلميّة إلى جلب الفقه والأصول. وذكرت منهجنا في هذه المباحث. وذكرت أنّنا نحن الشيعة الإماميّة الاثنى عشرية تابعونا في كلّ بحوثها في كلّ مسائلنا للكتاب الكريم وللسنة المعتبرة الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أذكر لكم اليوم وجهاً آخر من وجوه أهميّة مباحث الإمامة بالنظر إلى الحكمة من الخلقة.

يقول الإمام أبو عبد الله سيد الشهداء سلام الله عليه ليوم خرج على أصحابه يقول: إنّ الله خلق الخلق ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه. ولهذه الرواية ذيل مهمّ جداً سأذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فالحكمة من الخلقة معرفة الباري تعالى ثمّ عبادة الباري سبحانه وتعالى.

وجاء في حديث قدسي عن الله سبحانه وتعالى خلقت الخلق لكي أعرف. ويقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **(وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون).**

فيظهر من مجموع الآيات والروايات الواردة أن الحكمة من الخلقة معرفة الباري سبحانه وتعالى ثمّ إطاعته وعبادته كما في الشريعة المقدّسة.

وأئمّتنا عليهم الصلاة والسلام أعرف الناس بالله وأعلمهم بالكتاب وبالشريعة المقدّسة. لقد عرّفونا ربّنا وعلّمونا كيفيّة عبادته وطاعته. يقول الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام: بنا عرف الله وبنا عبد الله.

الله الذي يعرّفه أئمّتنا غير الله الذي يعرّفه غيرهم. الله في مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام يختلف عن الله في المدارس الأخرى. وكذا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذا صفات الباري سبحانه وتعالى. فرأيت من المناسب أن أتعرض في هذا اليوم لهذه الأصول الثلاثة أي التوحيد والعدل والنبوّة بنحو الإجمال كما في الروايات الواردة عن أئمّتنا عليهم الصلاة والسلام لأن لا يخلو بحوثنا عن التوحيد والعدل والنبوّة ولتكون هذه البحوث وإن كانت الإجماليّة مختصرة تكون مقدمة لمباحث الإمامة وأهميّة الإمامة التي سندرسها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

إنّه يقع البحث في التوحيد تارة في أصل وجود الله سبحانه وتعالى وأخرى في صفاته سبحانه وتعالى.

أمّا أن للعالم خالقاً، فقد أصبحت هذه العقيدة من أوضح الواضحات عند جميع العقلاء وقد تحدث في المجتمعات حوادث توجب الفرار من الدين والفرار من الدين أو النفور من الدين أمر والإلحاد أمر آخر. قد تحدث في المجتمعات بعض القضايا وتتغيّر أحوال بعض الناس إلّا أنّهم يفرّون من الدين وليس فرارهم من الله سبحانه وتعالى.

أمّا أنّ الله سبحانه وتعالى واحد ولا إله إلّا هو، فالدلائل والبراهين على ذلك كثيرة أذكر لكم بعضها على ضوء الروايات الواردة.

ولكنّ المذهب الآخر يقولون في الله سبحانه وتعالى أقوإلّا عجيبة غريبة جداً. يقولون بالنسبة إلى صفات الله سبحانه وتعالى بأنّها زائدة على الذات المقدّسة. فيكون الله سبحانه وتعالى في العلم والقدرة والحياة وغير ذلك، مفتقراً إلى هذه المعاني. هذا قول الأشاعرة وهو القول المعروف بينهم.

قال جماعة كبيرة منهم بالتشبيه يشبّهون الله سبحانه وتعالى بخلقه وهذا شيء يؤكّد على خلافه وعلى بطلانه أئمّتنا عليه الصلاة والسلام.

يقول جماعة كبيرة منهم بأنّ الله جسم له طول وعرض وعمق وأنّه يرى وأنّ المخلصين من المسلمين يعانقونه سبحانه وتعالى يعانقونه في هذا العالم وفي عالم اليقظة لا في عالم النوم.

ومنهم من قال: اعفوني عن اللحية والفرج واسألوني عمّا وراء ذلك. وذهب بعضهم إلى أنّ الله سبحانه وتعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة إلى السماء الدنيا على شكل شابّ أمرد حسن الوجه راكباً على حمار. ومن هذا القبيل أقوال أخرى عجيبة وغريبة عندهم في الله سبحانه وتعالى وصفاته عزّ وجلّ.

أمّا بالنسبة إلى أصل وجود الله سبحانه وتعالى فإنّ الحكمة في الخلقة تكفي للعاقل الفاهم أن يتوصّل إلى أنّ لهذا العالم خالقاً مدبّراً حكيماً. أذكر لكم مثالاً واحداً: الإنسان يأكل وجبة من الطعام. الإنسان يأكل وجبة من الطعام. هذا الطعام يتحوّل إلى الدم وفي بدنه يصل إلى أعضائه ويستفيد كلّ عضو من الأعضاء بقدر ما يحتاج إليه من القوّة من هذا الطعام الذي أكله. هذا الطعام يتحوّل في فم الإنسان إلى رطوبة لولا هذه الرطوبة لم يتمكّن الإنسان من التكلّم ورطوبة أخرى في العين وهي الدمعة ويتحوّل في ثدي المرأة على شكل لبن لرضيعها. يتحوّل في أصابع الإنسان إلى مادّة قوية نسمّيها بالظفر. فما بالك لو أن هذه المادّة القوية انتقلت إلى اللسان بدل أن تنتقل إلى الأصابع وانتقلت الرطوبة التي تصل إلى الفم إلى رؤوس الأصابع؟

هذه الحكمة في الخلقه تدلّ على وجود صانع بارئ حكيم لهذا الإنسان وغيره من الموجودات. الإنسان العاقل الفاهم المتأمّل في مثل هذه الأمور وهذا مثال من الأمثلة يتوصّل إلى هذه النتيجة بأن للإنسان خالقاً حكيماً قادراً وليس

الإنسان مخلوقاً بالصدفة ولم يوجد بلا موجب دائماً الممكن في وجوده يحتاج إلى موجد. إنّما يحتمل فيه الوجود والعدم وهو الممكن؟ في وجوده يحتاج إلى موجد وهذا شيء يفهمه كلّ عاقل كلّ فاهم يتأمّل في الأمور.

ووجود الله سبحانه وتعالى تدلّ عليه الفطرة الإنسانية كما في القرآن الكريم وجاء في رواية رواها الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد، قال رجل للصادق عليه الصلاة والسلام: يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني فقال له عليه الصلاة والسلام: يا عبد الله هل ركبت سفينة؟ قال: نعم. قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلّق قلبك هنالك إنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ فقال: نعم. قال عليه الصلاة والسلام: فذلك الشيء هو الله سبحانه وتعالى هو الله القادر على الإنجاء حيث لامنجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

ثمّ إنّ لتوحيد الله سبحانه وتعالى مراتب أهمّها أوّلاً التوحيد في الذات أي توحيد الذات. ثانياً توحيد الصفات ثالثاً التوحيد في العبادة. هذه ثلاث مراتب من مراتب التوحيد وهناك مراتب أخرى غير هذه المراتب. فالله سبحانه وتعالى واحد أحد وصفاته عين ذاته ولا معبود سواه.

من جملة البراهين على هذا المدّعى برهان النظم يذكره علماء الكلام. أنّ برهان النظم كما أنّه يدلّ على وجود الخالق يدلّ على أن الخالق واحد لا أكثر. هذا النظم الموجود في الكائنات يدلّ على وجود الخالق وعلى أنّه واحد كما قال سبحانه وتعالى: **(يا أيّها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتّقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)** فأشار سبحانه وتعالى إلى خلق الإنسان والأرض والسماء وغير ذلك.

وأمير المؤمنين سلام الله عليه ذكر في نهج البلاغة كلاماً حول خلق النملة وكلام بديع جداً وجئت بكتاب نهج البلاغة حتّى أقرأ لكم عبارات الإمام عليه الصلاة والسلام وله كلام آخر في خلقة الجرادة وكلام ثالث في خلق الطاووس.

يريد الإمام عليه الصلاة والسلام أن يذكّرنا بوجود الخالق الحكيم القادر وأنّه واحد لا اثنان. ولو شئتم أقرأ لكم عبارات الإمام أو راجعوا أنتم بأنفسكم نهج البلاغة.

أنا أوصيكم بقراءة نهج البلاغة أوصيكم بقراءة لقرآن يومياً أوصيكم بقراءة كتاب الأصول من كتاب الكافي أوصيكم بقراءة ثلاثة كتب من كتب الشيخ الصدوق وهي عيون وأخبار الرضا ومعاني الأخبار وكتاب التوحيد. هذه الكتب الثلاثة لابدّ وأن يطالعها أو يدرسها الطالب في الحوزة العلميّة حتّى يرى بأنّ الأئمّة عليهم والصلاة والسلام كيف

يعرّفون الله سبحانه وتعالى وكيف يبيّنون حقائق الأمور وأسرار الخلقة لنعرف أئمّتنا عن طريق دراسة أقوالهم والروايات الواردة عنهم في كتبنا المعتبرة.

وهناك رواية أخرى أريد أن أقرأها من نفس الكتاب. الرواية عن هشام بن الحكم. عن هشام ابن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه الصلاة والسلام. فكان من قول أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام له: لا يخلو قولك إنّهما اثنان. (أي الله سبحانه وتعالى أهل الخلق اثنان) لا يخلوا قولك أنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً.

لاحظوا كيف الإمام عليه الصلاة والسلام يتكلّم. إن كان هناك خالقان فإمّا كلاهما قوي أو كلاهما ضعيف أو أحدهما قوي والآخر ضعيف. هذا حضر عقلي لا يخلو الواقع من هذه الأمور والأحوال الثلاثة. فإن كانا قويين، فلم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالتدبير؟ وإن زعمت أنّ أحدهما قوي والآخر ضعيف، ثبت أنّه واحد كما نقول. للعجز الظاهر من الثاني. وإن قلت إنّهما اثنان لم يخل من أن يكون متّفقين في كلّ جهة أو مفترقين من كلّ جهة. فلمّا رأينا الخلق منتظَماً أو منتظِماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير واتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد.

ثمّ يلزمك إن ادّعيت اثنين، فلابد من فرجة بينهما. حتّى يصدق التغاير الاثنينة. فلابدّ من فرجة بينهما حتّى يكون اثنين. فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة. فإن ادّعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتّى يكون بينهما فرجتان فيكون خمساً ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.

هذا برهان عقلي من الإمام عليه الصلاة والسلام ومع وجود هذه البراهين العقلية عن أئمّتنا، لا نحتاج إلى الاستدلال بكلام فلاسفة وغير الفلاسفة من علماء الشرق والغرب. إنّما نحن مبتعدون عن روايات أئمّتنا عليه الصلاة والسلام ومع الأسف لولا هذا البُعد عن الأئمّة وعن أقوالهم لما احتاجنا إلى الاستدلال بأقوال غيرهم.

تتلخّص ممّا ذكرنا أن الله سبحانه وتعالى موجود وأنّ للعالم خالقاً بارئاً مدبّراً حكيماً وأنّه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد. وهذا باختصار ما أحببت أن أذكره حول التوحيد.

وأمّا بالنسبة إلى العدل فإنّ نحن الإماميّة تبعا لأئمّتنا عليهم الصلاة والسلام، نعتقد بأنّ الله عادل لا يظلم أبداً حتّى في الأدعية والزيارات عندنا بعض الكلمات لو نتأمّل فيها عندما نقرأها في دعاء نقرأه في ليالي الجمعة يقول الإمام عليه الصلاة والسلام بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى يقول: وإنّما يحتاج إلى الظلم الضعيف. الله سبحانه وتعالى ليس ضعيفاً حتّى يحتاج إلى الظلم.

الظلم إمّا من أجل الضعف أو من أجل النقش أو من أجل البخل أو من أجل العجز. الله سبحانه وتعالى ليس بعاجز ولا ببخيل ولا بضعيف ولا بناقص حتّى يظلم أحداً. هذه عقيدتنا في الله سبحانه وتعالى.

أمّا في مدرسة الآخرين يقولون: بأنّ الله سبحانه وتعالى يجوز عليه فعل القبائح وأنّ جميع أنواع المعاصي والكفر وأنواع الفساد واقعة بقضاء الله وقدره ولا تّأثير للعبد في ذلك. وهذا هو الجبر فيكون الله سبحانه وتعالى أظلم من كلّ ظالم لأنّه سبحانه وتعالى يعاقب الكافر على كفره والعاصي على معصيته وهو قدّره على الكفر والمعصية.

وروى أصحابنا عن الإمام موسى بن جعفر عليه الصلاة والسلام أنّه سأله أبو حنيفه وكان الإمام عليه الصلاة والسلام صغيراً قال له ممّن المعصية فأجاب عليه الصلاة والسلام وهو في سن الصغر فقال يا شيخ لا تخلو من ثلاث إمّا أن تكون المعصية من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ العبد بما لم يفعله وأمّا أن تكون المعصية من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين وليس للشريك الأكبر أن ياخذ الشريك الأصغر بذنبه وإمّا أن تكون المعصية من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وإن شاء عاقبه. فقال أبو حنيفه ذرية بعضها من بعض.

وعن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في كلام له قصير يقول سلام الله عليه: كلّ ما استغفرت منه فهو منك وكلّ ما حمدت الله عليه فهو من الله.

فما ألطف هذا الكلام على قصره في عدل الله سبحانه وتعالى.

وأمّا بالنسبة إلى النبوّة، فإنّ الحكمة من إرسال الرسل كما في القرآن الكريم حيث قال سبحانه وتعالى: **(هو الذي بعث في الأميين رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة)** هذه الحكمة، حكمة البعثة. بيان الآيات والتزكية والتعليم. الحكمة من البعثة. فبواسطة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يعرف الناس ربهم ويؤمنون به ويطيعونه في أوامره ونواهيه. ويتخلّقون بالصفات الكريمة الحسنة ويكون وجود النبيّ بين الناس حجّة الله سبحانه وتعالى على الناس. هذا مقتضى قاعدة اللطف التي ذكرها في علم الكلام.

قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءهم ليستئدوهم ميثاق فطرته ويذكّروهم منسيّ نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات القدرة.

ومن أنّه يشترط في النبيّ أن يكون عالماً بالشريعة وأسرارها وأن يكون معصوماً في إبلاغها وتعليمها. ولولا ذلك لبطلت الحكمة من الخلقة ومن بعث الأنبياء والرسل. هذه عقيدتنا في الأنبياء. ويقول الإمام عليه الصلاة والسلام كما في كتاب الكافي يقول: إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجوز أن يشاهده خلقه ولا يلامسه ويباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحجوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى

خلقه وعبادة ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فنانهم فتبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه المعبّرون عنه جل وعز وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا اتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين كي لا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته

قرأت لكم نصوص بعض الروايات للتأكيد على ضرورة الدراسة هذه الروايات ومراجعتها هذه الكتب ونحن بحاجة إلى فهم ما يقوله أئمّتنا حول الله سبحانه وتعالى وصفاته وانبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام هذه عقيدتنا.

وأمّا غيرنا فقد جوّزوا صدور المعاصي عن الأنبياء حتّى الكبائر ويشهد بذلك ما ورد في صحاحهم لهم كتب يسمّونها بالصحاح وأهمّها كتاب البخاري الذي يسمونه بصحيح البخاري في كتاب البخاري وكذلك في كتاب مسلم يرون أن إبراهيم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كذب ثلاث كذبات قال الفخر الرازي نسبه الكذب إلى الراوي أولى بالنسبة الكذب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وكحديث الغرانيق الذي رواه كبار المحدّثين والحفّاظ منهم كابن أبي حاتم والبزّار والطبري والطبراني وابن المنذر والبيهقي وغير هؤلاء رووا حديث الغرانيق وقد قال غير واحد من كبار المحدّثين منهم بأنّ هذا الحديث من وضع الزنادقة.

هذا بالإجمال ما اردت أن أبيّنه في هذا اليوم حول الأصول الثلاثة وهي التوحيد والعادل والنبوّة هذا البحث بالإجمال كمقدمه لأن نعرف أئمّتنا ونعرف ما يقوله غيرنا حول الله سبحانه وتعالى وصفاته وانبيائه ورسله هذا الاختلاف موجود ولا ينكر هذا الاختلاف ولكنّ أعظم خلاف وقع بين المسلمين منذ اليوم الأوّل، هو الخلاف حول الإمامة والخلافة. يقول صاحب كتاب الملل والنحل يقول: ما سلّ سيف في الإسلام كما سلّ في مسألة إمامة والخلافة وهذا أعظم اختلاف وقع بين المسلمين وما زال هذا الخلاف موجودا وإلى يومنا هذا.

حيث انقسم المسلمون إلى فرقتين أساسيتين وما زال الفريقان يعمل كلّ منهما لنشر فكره وعقائده وفقهه في الأمة.

هذا الاختلاف من أين حصل وما السبب له وهل الله سبحانه وتعالى يرضى بالاختلاف؟ الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالخلاف والاختلاف أبداً. بل يأمر سبحانه وتعالى بالوحدة والاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: **(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)** قال تعالى: **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالاختلاف ولكنّ هذا الخلاف وقع وعلى هذا الأساس أسّس علم الكلام علم الكلام علم مشترك بين الفرق كلّها كعلم النحو كعلم الفقه هذه علوم مشتركة بواسطة علم الكلام كلّ فرقه من الفرق تدافع عن عقيدتها وتحاول كلّ فرقه

أن تثبت عقيدتها أمّا نحن الشيعة الإماميّة فتابعون للكتاب الكريم القرآن المجيد وللأحاديث المعتبرة الوارده عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا باختصار أشرت إلى منشأ الاختلاف وسأذكر بعض التفاصيل غداً إن شاء الله تعالى.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.